مرصود لنا من كنوز النعمة ومواهب الروح القدس لنعيش فى غنى روحى ونغنى آخرين ... فماذا فعلنا بودائعنا .. إننا بلا عذر فى إهمالها ، فلنذكر يوم الحساب فإنه قريب على الأبواب (متى ٢٥ : ١٩) .

وسنتابع بنعمة الله الموضوع فى الأعداد التالية ، إذا أحب الرب وعشنا . والمجد لله دائماً

ص ...

من أنت ؟ ومن أى روح أنت ؟

[جريدة الأنوار : العدد ١٧٨ – السنة السادسة : ١٤ أكتوبر ١٩٥١ – ص ١١]

†

العلك فلان الشاب ، أو فلان الشيخ ؟؟ أو لعلك فلان الفاتن ، الذى تجتذب كل لحظ نحوك ، أو فلان الذى يتحول كل لحظ عنك ... وماذا يعنينى من شبابك وفتنتك ، أو شيخوختك أو دمامتك ، إذا كنت يوماً شاباً فاتناً فصرت شيخاً دميماً متهدماً !! بل ماذا يعنينى إذا كنت تفيض قوة وصحة وجمالاً ، ثم أصبحت جثة هامدة تفيض نتناً وفساداً !!

العلك فى كل هذه المراحل ، وفى جميع هذه الأطوار لم تكن أنت هو أنت ؟ فمن أنت ؟ قد تقول : أنا الذى دان لى العلم ، فانعقد لى فى كل محفل له لواء ، أو أنا ذلك الغنى الذى يدين لسلطانه كل سلطان ؟ أو أنا غير هذا وذاك ... أقول ولكنك طارح العلم والجاه وغيرهما عنك يوماً ، فتمسى وتصبح جثة من كان عاطلاً عن هذه جميعها ، سواء بسواء .. فقل لى من أنت ؟ إنى لا أريد أن تخبرنى عما يكون لك يوماً ثم يزول عنك فتصبح بدونه ، كما كنت من قبل ... أريد الجوهر الذى لا يتغير ، لا العرض الذى يصغر قليلاً ثم يضمحل .. فمن أنت فى جوهرك لأن هذا وحده هو أنت ؟؟

بدأت الآن تتجرد من كل ما إصطلح عليه عرف هذا العالم من مظاهر ، وزخرف باطل ، وأخذت تلتمس ذاتك الإنسانية ، حيث متنيت كل إنسان مثلك ، لأنك أنت وكل أحد سواك هو الإنسان ... إستعرضت مولدك ثم نموك ، فازدهارك ، فانحلالك ، فضمانك ... ووقفت فاغراً فاك ، ولا تبدى جواباً .. تكاد تقول أنا من أنا ؟ أنا تراب وإلى تراب أعود .. إذن أنا لا شئ .. لأنه ما عسى أن تكون قيمة حفنة ضئيلة من التراب إذا ذريتها فى الهواء !! نعم هذا هو مجد الجسد ، ومجد العالم .. تراب ، غبار ، لا شئ .. وهذا هو من زعم أنه هو ذلك الجسد الترابى ، وأن

عالمه هو ذلك العالم المادى ، وحياته هى فترة تطوره جسدياً فى هذا العالم الترابى ، فهو وعالمه ومجدهما تراب وغبار ، ولا شئ .

ولكنك انت شئ آخر غير هذا .. فمن أنت حقا ؟

تقول الطى أنا هو هذا الذى يحيا به ، الجسد الترابى ، يفكر ويدرك ، ويريد ويعمل ، وما هذا الجسد إلا غلافه وثوبه ، أو أداته ومطيته ، وهذا العالم حقله أو مصنعه وميدان تجاربه .. فما عساه يسمى ؟ وكيف وجد ؟ ومن أوجده ؟ ولأية غاية أوجده .. وما طبيعته وما هدفه ، وإلى اين مصيره ؟ وأى القوى تتنازعه ، وما مدى موقفه منها ؟

العل هذا هو الذى يسمى بالنفس أو الروح ؟ لا ادرى ايهما اكون انا الإنسان ؟ انفس انا أم روح ؟ أمن انا نفس وروح معا داخل هذا الجسد ؟ وما عسى يكون كل منهما ؟ ومن الذى يستطيع أن يكشف لى جلية الأمر فى هذا جميعه ؟ فهل مهندس الكون الأعظم ، لم يحتفظ بهذا السر لنفسه ؟ هو وحده الذى يعرف سر الكون الذى أبدعه ، وسر الإنسان الذى صوره ، وعلى العالم سوده .

اى شئ لم يعطه الله لك ايها الإنسان ؟! هذا الكون بأسراره وعظمته ، لمن ابدعه ؟ اليس لحبيبه الذى سر بأن يحبه وله قد اعده وهو انت . لمن اعطى صورته الملوكية ؟ الملاك او رئيس ملائكة من خليقته النورانية السمائية ؟ كلا بل لك انت وحدك ، ليفتديك وإلى رتبتك الأولى وبنويتك يردك .

لمن أرسل روحه ؟ الروح المعزى المحيى ، روح الحكمة والحق والمعرفة ، هذا الذى سكبه سكبا وافاضه فيضا ؟

اليس كل هذا لك .. انت الذى صار لك طعاما يؤكل وشرابا يشرب وروحا فيك يحل ويسكن .. انت الذى سر بأن يعطيك بروح قدسه فى الكتاب المقدس مفتاح ملكوت السموات .. هل تعوزك بعد ذلك معرفة ، أو يغيب عنك شئ من أسرار الآب ، وقد صرت بالابن له ابنا ، وكل ما تسأله قد سر الآب أن يعطيك إياه ... هلم مع الروح القدس ، للتنقل قليلا ، بين دفتى كتاب الحياة الأبدية فيضئ لك المسيح ، طريق معرفة ما تريد بشأن ذاتك ، ومن انت ؟ ومن أى روح أنت ؟ ها إن الروح القدس يقف بك فى سفر التكوين من الإصحاح الثانى عند العدد ٧ ويقول لك : " وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض فنفخ فى انفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية .. " هنا معلن تجسد الله الكلمة منذ البدء إعلانا لمحبة الله غير المحدودة للإنسان .

ففى كل ما خلق من كل ما فى السماء من فوق ومن كل ما على الأرض من تحت ، وما فى البحر من تحت الأرض ، وفى الكون بأجمعه خلق الكل بقوله ليكن .. فكان ما أراد ..

أما عند خلقتك أنت ، الذى هكذا سر بأن يجعلك موضع محبته . ولأجلك خلق ما خلق .. فإنه جبلك بيده من تراب الأرض .. فخلق لك منه جسدا نفخ فى أنفه بنفسه فصرت نفسا حية .. إذن هذه الجبلة من التراب صارت جسدا بديع التكوين لأن يد القدير جبلته .. ولكن هذا الجسد ظل بلا حياة حتى نفخ القدير فى أنفه فصار بنسمته نفسا حية .. كائنا حيا مكونا من نفخس وجسد ، ولما كان الجسد المجبول من التراب لم تنسب إليه الحياة إلا بعد حلول النفس فيه .. إذن فالنفس هى الحية وبحلولها فى الجسد أشاعت طبيعتها فيه ، وطبيعتها الحياة . فصار آدم أى التراب المجبول جسدا نفسا حية .

ولذلك سمى هذا الكائن الحى المكون من الجسد والنفس باسم العنصر الاسمى والحى وهو النفس .. أذن فانت أيها الانسان نفس .

أما كيف تكون صورة هذه النفس وما طبيعتها فاسمع ما يقوله الثالوث الأقدس عنها " نخلق الإنسان على صورتنا ومثالنا على صورة الله فى البر وقداسة الحق . ومثاله فى الارادة الحرة المطلقة والسلطان والحياة الابدية .. والله له المجد روح أزلى أبدى . إذن هذه النفس كيانها روحى على صورة الله روحية أى غير مادية ، ولأنها تختلف عن روح الله فى انها مخلوقة ، فأنها وإن تكن أبدية إلا أنها مستحدثة فلم توجد إلا عند خلقتها ، ولأنها مخلوقة فهى فى قوامها محدودة أى شكل محدود .. إذن هذه النفس ذات هيئة جميلة فى تركيبها ، روحية فى كيانها ، نورانية فى شكلها ذات إرادة ووعى ، وفهم وحس لذلك صار الجسد الذى سكنته لها أداة ، يعلن خواصها ونورها ...

وهنا ينتقل بك الروح الى سفر العبرانيين ، ويقف بك فى الاصحاح الاول عند العددين السابع والرابع عشر حيث يقول : (الصانع ملائكته رياحا ، وخدامه لهيب نار .. أليس جميعهم ارواحا خادمة مرسلة للخدمة لاجل العتيدين أن يرثوا الخلاص) .. ثم يقول لك : ها هو الملاك ، كائن حى خلقه القدير من النور روحا ، له جسم روحانى ، أى محدود الهيئة والتكوين ، شكله نورانى نارى ..هكذا النفس كائن روحانى مثله ، لا تختلف عنه إلا فى أن الملاك من النور خلق ، وهى من نفخة القدير خلقت فكلاهما روحيان فى قوامهما نورانيان فى شكلهما ، أبديان من حيث وجودهما ، ولكن النفس أسكنها القدير جسدا ، جبله من تراب الارض فصار منيرا بنورها ، مضيئا بضيائها ، وكل هذا يعلن مجد الله فى كل ما خلق ...

بهذا علمت أنك نفس وعلمت طبيعة نفسك وشكلها وكيف وجدت ، ومن أوجدها ولم يبق إلا أن تعرف كيف تكون حياتها ، وكيف يكون موتها ..

فالنفس لأنها أبدية ، إما أن تكون قائمة فى الوجود بحالة حياة ، أو قائمة فى الوجود بحالة موت ، وقد خلقت النفس فى آدم ، أى خلقت نفسك أنت فى صلب أبيك آدم يوم أن خلقه القدير فى حالة حياة ، لأنها خلقت على صورة الله ومثاله فى البر وقداسة الحق ، وذلك بحلول روح قدسه فيها ، فصار الروح القدس لها روحا وحياة ، لذلك قال : صار آدم نفسا حية ، وما كانت هذه النفس تموت ، لو أنها ثبتت بما لها من الارادة الحرة المطلقة فى عمل ارادة الروح القدس الساكن فيها .

أما وقد قاومته وأسلمت إرادتها لإرادة رئيس الظلمة فقد فارقها الروح القدس ، أى فارقتها الحياة ولزمها الروح المضاد ، فتسلط عليها الموت ، وأصبح الإنسان إبنا للشيطان وإرادة أبيه بروح أبيه الساكن فيه يعمل ، وهذا هو موت النفس أو الموت الروحى ، الذى قال عنه : (يوم تأكل من هذه الشجرة موتا تموت) إذ فارق نفسه الروح القدس ففارقتها الحياة بنورها وقداستها وكمالها وتسلط عليها الموت بسكنى روح ابليس فيها ، روح الظلمة والشر والفساد . حتى الجسد أدركه الفساد ، اذ حكم عليه بالانحلال والعودة الى التراب الذى أخذ منه .

ولكن آدم الثانى صار لنا روحا محيية .. الانسان الأول من الأرض ترابى ، أعطانا روح عبودية للموت ، الإنسان الثانى ، الرب من السماء أعطانا الروح القدس ، روح حرية أبناء الله للحياة .

فانظرى أيتها النفس المؤمنة المتغربة الآن فى الجسد عن الرب ، من أى روح أنت ، هل بالروح القدس للرب تحيين فيكون الروح القدس لك روح حياة لحياة .. أم بروح العالم ، للجسد والعالم تعملين فيكون روح رئيس العالم لك موتا لموت ...

ألا فاعلمى أن روح الحبيب فيك ، لا يريد رغم قساوتك وعنادك ان تكونى من الهالكين ، فهلم إنهضى ولا تكونى لحبه وطول اناته من المستهترين .. له المجد والتسبيح كل حين والى الأبد امين .